كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

١- نفتتح الحديث بمذاكرات حزينة لأحد العلماء العاملين والمخلصين.

«ما وجدناه بالمشاقّ الخارجة عن حد الحصر، صار في متناولكم بيسر تام. ولو أنكم أُوردتم نُبذاً من مشاقّنا في تحصيل المصادر لبكيتم دماً وعرفتم قدر النعمة التي أنتم فيها.. إن الدنيا زائلة ولا تعدو أن تكون كتابة ونقشاً على الماء؛ بل هي محض خيال و سراب.. وما هو مقدّر ومقسوم يتوالى تلقائياً، ولا تستحق التهالك عليها وتضييع فرصة العمر العزيز لأجلها. وهي ليست جديرة بأن يفرّط المرء بنسبه وحسبه لها.. كما لا تستأهل أن ينتمي الرجال إلى دائرة الأشرار لتحصيلها؛ أعني: الدنيا الزائلة الفانية، فهي دنيا دانية.

إن أهل الخلاف طالما حرصوا على تشييد المجامع والمؤسسات لنقض الفكر القويم وردّ أهل الحق، غير غافلين عن مشاريعهم الشيطانية، وكأن لا وجود لأحد مدافع من صفّة المحقّين»

هذا كان خطاب عالم مجاهد خلّف وراءه بعد عمره غير المديد ـ ستون سنة فحسب ـ سِفراً قيّماً للغاية، حيث كان كتاب (عبقات الأنوار) النفيس لا يعدو أن يكون صفحة من ذلك الطومار الرائع الباهر.

هذا كان كلام العلّامة المير حامد حسين قبل حوالي (١٥٠) سنة..

٢- قصة الكتاب المفجعة عبارة عن ملحمة أليمة تؤدي مطالعتها إلى امتلاء المحاجر دماً، ولا يجرؤ على قراءتها أيٌّ كان.

منذ الحقبة الزمنية التي خلق فيها رسول الرحمة الإلهية التغيير الحضاري العظيم

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

ببعثته المقدسة وثقافته الشفهية المباشرة في أهل الحجاز وتحت الشعار القرآني الأصيل (الذي علّم بالقلم) والأمر بتدوين الحديث النبوي الشريف، قد فتح وأسّس لفصل آخر في تأريخ أولئك القوم، وإلى الأيّام الأولى التي قلت استشهاد ومعراج الرسول السماوي.. انبرت جماعة تستّرت برداء الخلافة؛ وأصدرت الأمر بمنع كتابة الحديث النبوي.. ولم تكن تلك الأيام لتمثّل حقبةً مديدة.. ولكنها تركت عظيمَ الأثر والتأثير المدمّر..

منذ تلك الأيام، مدّ قوم رؤوسهم في باحة آل الله وأعلنوا تسليمهم وسالميتهم المطلقة إزاءهم عليهم السلام ... وخلقوا تراثاً مكتوباً وأبدعوه..

٣- على هذا الأساس؛ تعطّلت وعطبت السنّة الحميدة السنيّة في إبداع التراث المدوّن بين غالبيّة ساكني أقاليم القبلة ـ المسلمون ـ طيلة قرن فى الزمان، فكان أن تمخّض عن ذلك الواقع المرير أحداث مصيريّة.. ولم ينجُ بنفسه فى تلك الثقافة الضحلة سوى أفراد من الأمة لم يَرُق لهم ذلك التعطيل والعطب، إذ كانوا يرون وجوب سراية السيرة والثقافة النبوية في حنايا الأمة.. ولعل تفصيل القول فى هذا المجال يتطلب مساحة أخرى. ولكن ما يبدو فى الإشارة المناسبة بهذا الصدد هو أنه خلال ذلك القرن الزماني أن الكثير من المصادر الرئيسيّة لعلم الدين قد ضاعت، من حيث بقاء المطالب الصحيحة والاصيلة حبيسة في الصدور، ثم قبرت تحت الثرى، وكذا من حيث استعمال البدع والضلالات إلى الحدّ الذي غطت فيه حجب الأوهام عين الشمس.

٤- وعلى أيّ حال؛ فإن ابتعاد الأمة عن محضر علم المعصومين الإلهي ـ سواء بسبب مرور الزمان أو بداعي ظلم الجبابرة الظالمين الذي أصرّوا على إخراج الهداة عن متناول الناس ـ أضاف ضرورة أخرى وحاجة أكيدة إلى التراث المكتوب ليضمن شطراً من حاجة الناس إلى المطالب التي دوّنها العلماء في كتبهم وخلّدوها.

وهكذا اضحى حفظ ونشر وتعليم وتدريس واستنساخ تلكم الكتب الشغل الشاغل لعلماء و دوائر العلم الديني...

٥- إن في ذاكرة التاريخ قصص جديرة بالاستماع كثيرة، وقد عانى العلماء العاملون

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

المرضيّون عند أهل البيت عليهم السلام ما عانوا، وبذلوا الجهود المضيئة الخارقة في إطار أداء مسؤولياتهم، وبذلوا جذوة أعمارهم وأموالهم، وواجهوا مالا يتصوّر من المشاكل والعقبات والمصاعب.. ولذا؛ فقد احرزوا من الأجر المزيد.

عشرون عاماً من جهاد المحدّث الكليني، وأسفار شاقة للصدوق وأمثالهما من أعاظم العلماء.. في مواجهة مؤامرات ومضايقات المخالفين والنواصب في أجواء فتنة بغداد في القرن الرابع الهجري و.. عشرات النمادج لذلك.. إلى الحدّ الذي إن وصفناها بأنها غير قابلة للإدراك؛ لم نقل حرافاً..

فالشيخ الكليني ونظائره بذلوا مهجهم ولم يشكوا، وخلّفوا تراثاً خالداً للأجيال التي تلتهم وتليهم.. ثم رحلوا، ولكنّهم في حقيقة الأمر؛ بقوا.. إذ قدموا أرواحهم وأعمارهم في سبيل عقائدهم وقادتهم، فتخلّدوا..

٦- ولم يكن الأعداء في هذا الصراع مكتوفي الأيدي.. فبرزوا بأسلحة شتّئ؛ كالإنكار والتأويل والاستبعاد وأمثال ذلك ـ حسب ما تقتضيه الحاجة ـ وحيث لم يجدوا في أسلحتهم فائدة مؤثّرة، جهدوا إلى حمل الناس على تجاهل الحقائق ليذهبوا بها إلى طوايا النسيان عن عمد وسابق إصرار...

وفي السنوات الأخيرة عمدوا إلى حيلة مستجدّة؛ إذ راهوا يخلطون بين الحقائق الثابتة والتعاليم المؤقته، ثم يطبعون عليها جميعاً توقيع «الزمان الخاصّ والمكان الخاصّ» حتى أفرغوا تعاليم الوحي المقدّس من محتواها وقدرتها على التأثير.

٧- وحربة أخرى من حراب هؤلاء الأوغاد، كانت التوسّل بآليّة هوية الكتب والنسخ الخطية الأصيلة لغرض تضعيف الكتب والمصادر.. فبدلاً من تضعيف وإنكار الأحاديث على حدّة ـ الأمر الذي يتطلّب جهداً ووقتاً ليسا باليسيرين ـ وجدناهم يدفعون الكتاب الواحد والمصدر الواحد إلى زاوية الدفاع عن صحّته وأصالته ليسلبوه إيّاهما... ومرّةً واحدة...

وفي هذا المشهد المسرحي.. جربوا اختبار (نهج البلاغة) الشريف خلال عشرات

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

السنين.. وأثناء ذلك؛ انبرى بعض علماء الإمامية المجاهدين حقاً وبذلوا المساعي الحثيثة والشاقّة للدفاع عن مكانة واعتبار نهج الهداية العلوية.. ولكن مؤامرات الخراصين المثبطين الهادفة إلى تضعيف النهج النبيل ما تزال ماثلة.. وما تزال المسرحية قائمة!!

٨- إن حيازتنا ـ حيث نعيش في القرن الخامس عشر الهجري القمري ـ لكنوز القرون السالفة مدينةٌ للعذابات التي تعرض لها علماء شيعة أهل البيت عليهم السلام.. إذ عانوا الآلام هم وأورثونا الكنوز.. كنوز تستحقّ الشكر بما لها من قيمة لا تثمّن، فيما يتأتى على كفرانها عقاباً أليماً وعذاباً عسيراً!!

إن أدنى مستوئ من تقييمنا لهذا التراث الخالد، كشفه وتعريفه للأجيال اللاحقة.. وهذا يمثّل خطوة مقابلة للانحلال الثقافي المشهود في الأجيال الراهنة، وهي لعمري خطوة لازمة محتومة ضروريّة..

٩- ها هي الآن ثَم «لواء الحمد» تعتبر الدين قائماً على نصوص الوحي (الكتاب والعترة) قد تقدمت لتخطو خطوات أولية لتعريف بعض نصوص الشيعة الإماميّة.

ومن البديهي أنّ هذا الهدف الكبير لا يتحدّد في هذه الأجواء الضيّقة، وإنما تتطلّب زماناً وفضاءً واسعين رحبين، لتفصح عن حرف من آلاف الحروف.. ومع ذلك؛ فقد أردنا أن نخطو خطوة صغيرة في طريق ممتد واستصراخ المحققين للمشاركة في إنجاز هذه المسؤولية العلمية والتاريخية. كما نعلم جيداً ضرورة التأليف ـ فريد التأليف ـ بخصوص هذه الكتب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، ينبغي مزيد التحقيق في كتب أخرى، لا سيما من حيث الدقّة والتعريف.. إلّا أنّ الإمكانات المحدودة والمشاكل الجمّة لم ولا يتمخّض عنها غير هذا المنجز الموجز.. ولاريب في أنّ هذا المنجز المختصر أفضل من تجاهل المسؤولية بشكل مطلق، فعمدنا إلى تقديمه إلى ساحة المحققين...

١٠- نأمل أن يحظى هذا المنجز الوجيز بالعفو والقبول من جهة إمام الأمم وبقية الآل المعصومين، وخاتم حلقات عقد النور، مولانا بقية الله ـ أرواحنا فداه ـ وأن يباركه بنظرة رحيمة، وأن يأخذ بأيدينا ويخلّصنا وينجينا من الزلل والأخطاء.. إنه كريم من أولاد الكرام.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]